

محاضرة: منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية

لما كان القرآن الكريم هو المنهل الأول في الإسلام، كان لابد من الرجوع إليه لكي نتبين منهجه في عرض العقيدة الإسلامية، الذي يتضح من خلال المحاور الآتية:

أولاً: رفع القرآن مكانة العقل ودعا إلى إعماله:

- ١- أعلى الله سبحانه وتعالى العقل، ورفع مكانته، وعظم مقامه، قال تعالى: **﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَاب﴾** [البقرة: ٢٦٩].
- ٢- دعا القرآن الكريم إلى إعمال العقل، والنظر في ملوك السموات والأرض، للوصول إلى الأجرة الحقة، قال تعالى: **﴿فُلِّ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [يونس: ١٠١]، وقال عز وجل: **﴿فُلِّ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [العنكبوت: ٢٠].
- ٣- عاب القرآن الكريم على المعطليين لعقولهم، قال تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: **﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَقْرِلُونَ﴾** [الأنبياء: ٦٧-٦٦].
- ٤- عاب القرآن الكريم على من يكتفي بتقليد الآباء، قال سبحانه وتعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾** [البقرة: ١٧٠].

ثانياً: عرض القرآن الكريم نظام الكون للتفكير به والتدبر بالآلهة:

فقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي عرضت نظام الكون وبديع صنعه، لكي ينطلق منه الإنسان للتفكير بخلق الله تعالى، وتدبر آلهاته، قال سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢١-٢٢].

فالقرآن الكريم عرض هذه المظاهر الكونية، كالسموات والأرض، والليل والنهار، والمطر والرياح، والنباتات بإشكالها، والمخلوقات بأنواعها، ليتدبر الإنسان هذه المخلوقات، ويعلم أنّها ليست من صنع الإنسان، ولا غيره من المخلوقات، بل هي من صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه، ومن ثمّة يلزم أن يتوجه الإنسان إليه مخلصاً بالعبادة.

أَمَّا العاجز عن الخلق كالأصنام والمخلوقات الأخرى فلا تستحق العبادة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ» [الحج: ٧٣].

ثالثاً: ذكر القرآن الكريم أصول العقيدة الإسلامية:

جاء القرآن الكريم على ذكر أصول العقيدة الإسلامية، في: الإلهيات، والنبويات، واليوم الآخر، وأقام البرهان عليها.

١ - **فِي الإِلَهِيَّاتِ:** فِيَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

- أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ رَبُّ الْكَوْنِ، قَالَ سَبَحَانَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ • مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» [الفاتحة: ٤-٢].

- واستدل بمخلوقاته على وجوده تعالى، قال تعالى: «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرَوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بِلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَالِّ مُبِينٍ» [القمان: ١١].

- وأقام البرهان على أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، فِي قَوْلِهِ: «أَلْوَ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَاهَا» [الأنبياء: ٢٢].

- ووصف نفسه بأوصاف الكمال والجلال، فِي آيَاتٍ عَدَّةٍ.

٢ - **وَفِي النَّبَوَاتِ:**

فَبَيَّنَتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَ الرَّسُولَ وَالْأَنْبِيَاءَ هَدَاةً لِلْبَشَرِ إِلَى طَرِيقِ سُعَادِهِمْ فِي الدِّينِ وَالآخِرَةِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» [النَّحْل: ٣٦].

٣ - **وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ:**

أَوجَبَ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ تَعَالَى: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبَعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّكُمْ لَتَبْعَثُنَّ» [التغابن: ٧]، وأقام الدليل عليه بقوله عَزَّ وَجَلَّ: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْكِمُ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ» (٧٨) قُلْ يُحْكِمُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» [يس: ٧٨-٧٩].

رابعاً: حكى القرآن الكريم أقوال المخالفين، ورد عليهم بالبرهان:

ومن ضمن منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية، أنه حكى أقوال المخالفين، ورد عليهم بالبرهان:

١- فرد على عباد الأصنام والأوثان بقوله عز وجل: «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [العنكبوت: ١٧].

٢- ورد على عباد الكواكب والشمس والقمر، بقوله تعالى: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ ◆ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ◆ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ◆ إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّهِيَّ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [الأنعام: ٧٦-٧٩].

٣- ورد على عباد الملائكة، بقوله سبحانه: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ◆ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» [سبأ: ٤٠-٤١].

٤- ورد على اليهود، بقوله عز وجل: «فُلْنَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلَيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ◆ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» [الجمعة: ٦-٧].

٥- ورد على من أعتقد أنَّ المسيح إله يعبد، قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلُمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ» [المائدة: ١١٦].

٦- ورد على من يقول بأن الله اتخذ ولداً، بقوله سبحانه: «وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ◆ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَي الرَّحْمَنِ عَبْدًا» [مريم: ٩٢-٩٣].

٧- ورد على منكري النبوة وكفراهم، قال عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصْمٍ وَنَكْفُرُ بِعَصْمٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا ◆ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْنَدُنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» [النساء: ١٥٠-١٥١].

٨- وردَ على منكري البعث والنشور، قال سبحانه: «وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الدِّينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ» [الرعد: ٥].

خامسًا: عرض القرآن الكريم العقيدة بأسلوب سهل:

عرض القرآن الكريم العقيدة بأسلوب سهل يفهمه الأمي الساذج، والعالم المتبحر في شتى العلوم، قال تعالى: «فَلَيْنَظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَبًا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّاً ۝ فَانْبَثَتْنَا فِيهَا حَبَّاً ۝ وَعِنْبَأً ۝ وَقَضْبَأً ۝ وَرَيْتُُنَا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبَأً ۝ مَنَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعَمِكُمْ» [عبس: ٤-٢]. [٣٢]

سادسًا: أمر أن تكون الدعوة إلى الله تعالى بالطريقة الحسنة:

حين يعرض القرآن الكريم العقيدة الإسلامية الحقة، ويدلّ عليها بمختلف البراهين، يأمر أن تكون الدعوة إليه بالطريقة الحسنة مع الابتعاد عن الجدل العقيم الذي يورث الفرة والبغضاء، قال تعالى: «إِذْءُ إِلَيْهِ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالْتَّيْهِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» [النحل: ١٢٥].

وصور الإمام الغزالى (٥٥٠ هـ) أدلة القرآن الكريم بأنها كالغذاء ينتفع به كل إنسان، وكالماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع والرجل القوى.

خلاصة محاضرة: منهج القرآن في عرض العقيدة الإسلامية

تميز القرآن الكريم بمنهجه الواضح في عرض العقيدة الإسلامية، من خلال المحاور الآتية:

- ١- رفع القرآن الكريم مكانة العقل ودعا إلى أعماله، وعاب على المعطليين، ومن يكتفي بتقليد الآباء.
- ٢- عرض القرآن الكريم نظام الكون للتفكير به والتبرير بالآئه، لكي ينطلق منه الإنسان للتفكير بخلق الله تعالى، وتدبّر آلاته، للوصول إلى أنّ له خالقاً خلقه هو الله تعالى.
- ٣- ذكر القرآن الكريم أصول العقيدة الإسلامية، في: الإلهيات، والنبويات، واليوم الآخر، وأقام البرهان عليها.
- ٤- حكى القرآن الكريم أقوال المخلفين، وردّ عليهم بالبرهان.
- ٥- عرض القرآن الكريم العقيدة بأسلوب سهل يفهمه الأمي الساذج، والعالم المتبحر في شتى العلوم.
- ٦- دعا القرآن الكريم إلى الدعوة إلى الله تعالى بالطريقة الحسنة والابتعاد عن الجدل العقيم الذي يورث النفرة.

وآخر دعوانا أنِّي الحمد لله رب العالمين
وصلَّى الله وسَلَّمَ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين